بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة، بعنوان: قيمة الوقت في حياة الإنسان

عبقريةالحضارة المصرية القديمة في إدارة الزمن وأثرها على الإنسانية

السلف الصالح: دروس في عبقرية استثمار الوقت - قصص وحكايات

الاستعجال والتسويف: أحكام ومخاطر وآثار

كيف نستثمر الوقت بذكاء في عصر المشتتات والملهيات؟

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ١٣ رجب ١٤٤٧هـ / ٢ يناير ٢٠٢٦م

صفحة معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي خلق الزمان، وجعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا، أحمدك ربي وأستعينك وأستهديك، وأستغفرك وأعوذ بك من ضياع الأعمار ومن مرور الأيام فيما لا ينفع ولا يمكث في الأرض.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبدُه ورسوله، علَّمَنا كيف نغتنم اللحظة، ونستثمر الدقيقة، ونملأ الأيام والشهور والسنين بالنيات الطيبة، والعطاء، والعمل الصالح، والخُلق الفاضل.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كل الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا... واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

مولاي صل وسلم دائما أبدا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا يا ربنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ..) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال الكريم جل وعلا: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

أما بعد...

في زحمة الحياة وتعقدها يظنّ الإنسان أن ما يملكه هو المال أو الجاه، غير أنّ من أثمن ما وُهِب له شيءٌ لا يُرى ولا يُخزَّن ولا يُعوَّض ولا يُعرف نهايته.

به تُبنى الأعمار، وتُكتب النجاة أو الخسارة، إنه الوقت... رأس مال الشخص في هذه الحياة، وميزان السعادة في الدنيا والآخرة.

ولا يمتاز به غنيٌّ عن فقير، ولا قويٌّ عن ضعيف؛ فالناس فيه سواء، الكلُّ يملك الساعاتِ نفسها، وإنما يتفاضلون بحُسن استثمارها.

عبقرية الحضارة المصرية القديمة
في إدارة الزمن وأثرها على الإنسانية

تكشف دراسةُ الحضارات الإنسانية المتعاقبة أنَّ التفوّق الحضاري لم يكن وليدَ الإبداع المادي وحده، بل أسهم فيه بفاعلية الوعيُ العميق بالوقت والزمن والمواقيت، وإدراكُ أهميتها البالغة، وضرورةُ استثمارها استثمارًا أمثل في:

- إحكام التنظيم.
- ورفع كفاءة الإنتاج.
- وحُسن إدارة شؤون المجتمع، بما يضمن الاستمرارية والتراكم الحضاري.

والناظر إلى الحضارة المصرية القديمة –على سبيل المثال– يلاحظ اهتمامًا بالغًا بالمواقيت والتقاويم؛ لتنظيم الزراعة والري والحصاد والبناء والعمران، ومواسم الفيضان والجفاف، وصولًا إلى ضبط الزمن لغايات سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية.

فالمصري القديم لم ير الحضارة مجرد مبانٍ شاهقة، بل رأى فيها "نظامًا ودقة"، حيث كان ضبط الوقت عنده جزءًا لا يتجزأ مِن الحفاظ على (النظام الكوني) ضد الفوضى.

وفيما يلي أبرز مظاهر عبقريتهم في التعامل مع الزمن وأثره على الإنسانية:

١. **ابتكار التقويم الشمسي**: كأساس لتقويمنا الحالي، حيث كان المصريون أول من قسَّم السنة إلى ٣٦٥ يومًا؛ فالمصري القديم، كما قال الباحث الأثري علي أبو دشيش، قسَّم السنة إلى ٣ثلاثة فصول:

- الأول: (الفيضان.. آخت).
- الثاني: (الإنبات.. برت).
- الثالث: (الحصاد.. شمو).

وقسم الفصل الواحد إلى أربعة أشهر، في حين قسَّم الشهر إلى ثلاثة أسابيع، والأسبوع إلى عشرة أيام.

وعثر على ساعة مائية من عهد الملك أمنحتب الثالث.

وكانت الساعات المائية تعمل ليلاً، والساعات الشمسية نهارًا لقياس الوقت. ويوجد في سقف معبد دندرة أقدم خريطة فلكية. وبها الكواكب الخمسة عند الفراعنة، وتوضح ١٢ برجًا، وتوضح الـ ٣٦ نجمة عشرية [١].

٢. **رصد النجوم والاستفادة منها في المواقيت والأشغال**: وقد أسهمت دقّةُ رصدِهم للنجوم في إحكام ضبط المواقيت وتنظيم شؤون الحياة، فكان الربط بين السماء والأرض ركيزةً أساسية في وعي المصريين بالوقت؛ إذ ارتبط اهتمامهم بالزمن بعلم الفلك ، فابتكروا أدواتٍ لقياسه، كالساعات الشمسية والمائية –كما أشرنا– لضبط الوقت ليلًا ونهارًا.

٣. **تعامد الشمس لإضاءة وجه تمثال الملك: قمة الإعجاز الهندسي والفلكي**

كما يتجلّى ذلك بوضوح في معبد أبي سمبل، حيث بلغت الدقّة في التصميم والتنفيذ حدًّا مدهشًا، مع سلامة التخطيط واستمراره منذ إنشائه حتى اليوم؛ إذ صُمِّم المعبد بحيث تنفذ أشعّة الشمس لمسافة تقارب ستين مترًا داخل الصخر، لتضيء وجه تمثال الملك رمسيس الثاني في يومي: مولده، وتولّيه العرش فحسب، في دلالة بالغة الدلالة على قدرة المصري القديم على تطويع الزمن والمواقيت لخدمة المعنى، وترجمة الوعي الزمني إلى إنجاز حضاري خالد..

٤. **تنظيم الإدارة والعمل**

ذلك أن الوقت عند المصريين كان مرادفًا للإنتاج:

- إدارة الري: حيث وضعوا جداول زمنية دقيقة لفتح الترع والقنوات وإغلاقها وفق مقاييس النيل.
- البناء والتشييد: وتُبرز هذه الشواهد أن الوقت لم يكن عنصرًا عارضًا في التجربة الحضارية المصرية القديمة، بل موردًا حضاريًّا جرى استثماره بوعي وتنظيم؛ إذ يُفهم من طبيعة بناء الأهرامات والمعابد أنها أُنجزت ضمن جداول زمنية منضبطة وصارمة، راعت تعاقب المواسم، وتنظيم تبديل العمال، ونقل الحجارة خلال فترات معينة ومنها فيضان النيل حين تتوقف الزراعة، بما يعكس إدراكًا عمليًّا لقيمة الزمن وتحويله إلى طاقة بناء وعمران..

وهكذا علمتنا الحضارة المصرية القديمة أن احترام الوقت هو أول خطوات الحضارة والتمدن والعمران. وبدون الحسابات الفلكية والميقاتية، لما تمكنوا من بناء عجائب أبهرت الدنيا وصمدت آلاف السنين، لتظلّ عبرة لكل البشرية في إدارة الوقت والزمن بدقة وإتقان.

نحو فقه إدارة الزمن واستثماره من منظورٍ إسلاميّ واستراتيجيّ

أيها المؤمنون:

إن الزمن ليس مجرد شمس تغرب وتشرق، أو قمر يظهر ويغيب، أو عقارب تدور وتتحرك بانتظام وانضباط؛ بل هو **العمر**، هو **الحياة**، هو **الأمانة** التي سيسألنا الله عنها يوم القيامة...

تعريف الوقت:

الوقت هو: البُعد الزمني الذي تقع فيه الأحداث، ويتحرّك فيه الإنسان من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل، وهو وعاءُ الأعمال، وعمرُ الإنسان الحقيقي، وهو مورد لا يُشترى ولا يباع ولا يُخزَّن ولا يُعوَّض.

وينسب إلى الحسن البصري (رضي الله عنه) قوله: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، إذا ذهب يومك ذهب بعضك".

أنواع الوقت:

يمكن تقسيم الوقت إلى عدة أنواع باعتبارات مختلفة:

١. من حيث المصدر:

[١] https://www.elwatannews.com/news/details/٢٨٩٦٣٥٨

- وقت طبيعي: كالشروق والغروب، والفصول، ودورة القمر.
- وقت اصطناعي: كالساعات، والتقويم، والمواعيد التي يضبطها الإنسان.

٢. **من حيث الاستخدام:**
- وقت منتج: يُستثمر في أمر نافع، من عبادة أو علم أو عمل.
- وقت ضائع ومهدر: يُهدر في اللهو، والكسل، والغفلة.

٣. **من حيث الإنجاز:**
- وقت ذهبي: وهي لحظات الحسم والفرص النادرة، مثل: ليلة القدر، أو أوقات الإجابة، والأوقات التي تستنبت فيها العلوم والمعارف والخبرات، وتولد فيها المخترعات وتظهر فيها المكتشفات، وتعالج فيها الأمراض العصية على العلاج...إلخ.
- وقت عادي: بقية اليوم والليلة.

أقسام الوقت (في حياة الإنسان):

١. **الماضي**: وهو وقت مضى ولن يعود، وهو للعبرة والتقييم فقط، واستلهام الدروس.
٢. **الحاضر**: وهو الحياة الحقيقية، التي يجب اغتنامها.
٣. **المستقبل**: وهو مجهول بالنسبة لنا، لكنه يُبنى بالاعتماد على الله، ثم التخطيط والدراسات التنبئية، والعمل بداية من الحاضر، ويُرجى فيه الخير من الله (تعالى) .

طرق حساب الوقت:

١. **بالأهلة والظواهر الطبيعية:** كما في الشرع الشريف، مثل: مواقيت الصلاة، الصيام، الحج، قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ..) (البقرة: ١٨٩).
٢. **بالساعات والتقاويم:** كالثانية، والدقيقة، والساعة، واليوم، والأسبوع، والشهر، والعام، والعِقد، والقرن.
٣. **بالعادات الاجتماعية:** مثل تقسيم اليوم إلى: دوام (عمل) – راحة – نوم – ترفيه.

خصائص الوقت:

للوقت خصائص مميزة ينبغي على الإنسان أن يعيها ويتعامل معها بوعي وانضباط، ومن أبرزها:

١. **سرعة انقضائه:** فالوقت يمضي كالسحاب، لا يتوقف أبدًا، ولا ينتظر أحدًا، وقد يصير العمر كله وكأنه لحظة عند الحساب، كما قال تعالى: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) (النازعات: ٤٦).
٢. **ما مضى من الوقت لا يعود أبدًا ولا يعوض:** فكل لحظة تفوت لا يمكن استرجاعها ولا تعويضها.
٣. **الوقت أغلى ما يملك الإنسان:** لأنه وعاء العمر، ورأس مال النجاح في الدنيا والآخرة.
٤. **الوقت هو الحياة:** فلا قيمة للحياة بلا وقت، ولا قيمة للوقت بلا استثمار.
٥. **الوقت مورد مشترك بين الناس جميعًا وليس لأي إنسان تمييز فيه عن الآخر:** فالناس كلهم يملكون ٢٤ ساعة يوميًّا، لكن التفاوت في الإنجاز يعود إلى حُسن إدارة الوقت لا إلى كثرته.
٦. **الوقت مسؤولية عظيمة:** فاللهُ (سبحانه وتعالى) سيسأل العبدَ عن عمره، يقول الرسول الكريم (ﷺ): (لا تَزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ، حتَّى يُسأَلَ عن:
- عُمُرِه؛ فيمَ أفناه؟
- وعن عِلْمِه؛ فيم فعَلَ فيه؟

- وعن مالِه؛ من أين اكتسَبَه؟ وفيم أنفَقَه؟
- وعن جِسمِه؛ فيمَ أبلاه؟) [٢].

٧. **الوقت محدد الأجل:** وكل إنسان له وقت مقدّر لا يزيد ولا ينقص، قال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (الأعراف: ٣٤).

٨. **الوقت متجدد لا ينقطع:** فكل لحظة فرصة جديدة للعمل النافع والعمل الصالح، والإنتاج، لذا قال (ﷺ): (...احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ "لو" تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) [٣].

٩. **الوقت لا يخزّن ولا يقبل التأجيل:** كثير من الأعمال إذا أُجّلت ضاعت.

١٠. **الوقت يشهد للإنسان أو عليه:** كل يوم يشهد بما عمل فيه صاحبه، كما تشهد عليه الجوارح والنعم...

اغتَنِمْ خَمسًا قَبْلَ خَمس

عن عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: قالَ رَسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) لرَجُلٍ وهو يَعِظُه:

اغتَنِمْ خَمسًا قَبْلَ خَمسٍ:

- شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ،
- وصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ،
- وغِناكَ قَبْلَ فَقرِكَ،
- وفَراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ،
- وحَياتَكَ قَبْلَ مَوتِكَ) [٤].

وفي رواية أخرى يقول (ﷺ): (اغتنِمْ خمسًا قبلَ خمسٍ: حياتَك قبلَ موتِك، وصحتَك قبلَ سقمِك، وفراغَك قبلَ شغلِك، وشبابَك قبلَ هرمِك، وغنَاك قبلَ فقرك) [٥].

(أ) إياكم والعَجَلَة، كم تعجّلنا فندمنا؟

(استثمار الوقت بحكمة... لا بالاستعجال)

ليس معنى استثمار نعمة الوقت أن نتعجّل في أمورنا وأعمالنا ونتسرع فيها من غير أن تأخذ حقها ومستحقها من العمل أو الدراسة أو المراجعة والتهذيب، أو تتم من دون إتقان، كلاّ؛ بل إن الاستفادة الحقيقية تكمن في التأني والحكمة في التصرف، والصبر على الأمور كما قدرها الله (سبحانه وتعالى).

ذلك لأن الزمن الذي بين أيدينا هو أمانة يجب أن نُحسن استثماره واستغلاله، لا بالإسراع الفوضوي، ولا بالإهمال المُضيّع، بل بالتدبير والتخطيط، والعمل المتقن الذي يثمر خيرًا دائمًا.

---

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين –صحيح على شرط الشيخين.

(٥) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير – صحيح.

إنَّ مَن يستعجلِ الشيءَ قبل أوانه، عُوقِبَ بحرمانه، وكان في عجلته ندمُه وخسارته؛ لأنه سيسقط في الأخطاء، ويخسر البركة.

أمّا مَن أتقن عملَه، وصبر عليه، وراعى الله فيه، فقد ضمن ثمارًا ناضجة، وعملًا يرضاه الله، وراحةً للنفس والقلب.

فلتكن خطواتنا محسوبة ومنضبطة بميزان الشرع والتجربة والعقل والحكمة ، وأوقاتنا مصونة بالحكمة، وقلوبنا مطمئنة بأن كل شيء يجري بأمر الله وتقديره وحكمته، وأنَّ حسن استغلال الوقت لا يعني السرعة ولا يعني التراخي أو الكسل، بل الإتقان والوعي والإخلاص في كل لحظة...

ومن هنا نقول للجميع: إياكم واللامبالاة، وإيّاكم والعَجَلة، وعليكم بالتأنّي والرَّويّة والتوازن والحكمة.

ولا تستعجلوا الأمور قبل أوانها؛ فلا أحدَ –كائنًا مَن كان– يستطيع أن يُنضِج الثمرةَ قبل أوانها، بل لا تملك الشجرةُ التي تحمل الثمرة أن تُنضِجها متى شاءت.إنما كلُّ شيءٍ يجري بأمر الله ، وبمشيئته النافذة، وإرادته الحكيمة، ومراده وحده (جلَّ وعلا)، وفق سننه التي أقام عليها الكون، ونواميسه التي لا تتبدل ولا تتحول؛ قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩)، وقال تعالى: (...وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) (الأحزاب: ٣٨).

فمتى جاء الأوان الذي قدّره الله، تمَّ الأمر، وظهر الأثر، وبلغت الحكمة مرادها؛ قال تعالى: (...لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) (الرعد: ٣٨)، وقال جل وعلا: (وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المنافقون: ١١).

والإيمان بما سبق يورث:

- الطمأنينة في القلوب؛ أن التدبير كله لله.
- وأن الأسباب لا تعمل بذاتها، وأن النتائج لا تُجنى إلا بإذنه سبحانه؛ القائل: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير: ٢٩).

فمن سلّم لله في تدبيره وأقداره، عاش هادئ القلب، ثابت النفس، لا تعجله الرغبات، ولا تزلزله التأخيرات؛ لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

أيها القارئ الكريم: إن التعجُّل في القرار، أو في الغنى، أو في قطف الثمرة –حقيقةً أو مجازًا– قبل أوان نضجها، آفةٌ تُعجِّل الندم، وتُذهب البركة وتضييع على الشخص خيرًا كثيرًا؛ لأن التعجُّل استعجالا لما أخّره الله بحكمته، ومزاحمة لتقديره بضعف صبر الإنسان.

وما مِن أمرٍ طُلب قبل أوانه إلا جاء مشوبًا بالخسارة، وما مِن خيرٍ انتُظر في وقته إلا أتى بتمامه وبركته.

قال تعالى: (وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا) (الإسراء: ١١).

فطوبى لمن تأدّب مع الله (تعالى)، ففوَّض الأمر إليه، ورضي بتدبيره، ومضى على درب الصبر والتأني.

كم تعجّلنا فندمنا، وكم استعجلنا فخسرنا، حتى تبيّن لنا –بعد فوات الأوان– أنَّ الخيرَ كلَّه كان في التأخير.

ولو صبرنا هُنيهةً [٦] أو قليلًا أو كثيرًا، لوجدنا الخير حيث وضعه الله، ولسلِمت القلوب، ودامت البركة، واقتربنا من رضا الله... فالخير أيها السادة فيما يقدره الله.. فيما يؤخّره الله لا فيما نستعجله.

فاللهُ (سبحانه وتعالى) ما أخَّر أمرًا إلا رحمةً، ولا منع عطاءً إلا حكمةً؛ ولكننا ضعفنا عن الصبر، فضاقت صدورُنا.

فاللهم علِّمنا الصبر والحليم والحكمة والتؤدة والأناة، وعلمنا الثقة بك حين تُغلَق الأبواب؛ فما أغلقتَ بابًا إلا لتفتحَ قلبًا، ولا أخَّرتَ أمرًا إلا ليكون العطاء أتمَّ وأبقى.

---

(٦) الهُنَيَّهَة: هي المدة الزمنية القصيرة، وتُستعمل للدلالة على تأنٍّ يسير وانتظار خفيف لا مشقّة فيه.

أحكام الاستعجال

إليك –عزيزي القارئ الكريم– تأصيلٌ (فقهيٌّ تربويٌّ) لأحكام الاستعجال، وتبيان أهم مواضع المنع والوجوب والاستحباب على النحو التالي:

أولًا: حكم الاستعجال بوجه عام

الأصل في الاستعجال: الذمّ؛ لأنّه غالبًا ثمرةُ ضعف التثبّت، وقِلّة الحكمة، وغلبة الهوى... قال تعالى: (وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا...) (الإسراء: ١١)، وقال النبي (ﷺ): (التأنِّي منَ اللهِ والعجلةُ منَ الشيطانِ) (٧).

ويمكن صياغة قاعدة عامة هنا تنص على: [الاستعجال مذمومٌ حيث يُفضي إلى خطأ، أو تفريط، أو اعتداء على حقٍّ، أو قولٍ بلا علم].

ثانيًا: مواضع يجب فيها الاستعجال

وعلى الرغم من ذم الاستعجال عموما فإن هناك بعض المواطن التي يُعدّ فيها التأخير تفريطًا أو إثمًا، إذا وُجدت القدرة وزالت الموانع، ومن ذلك...

١. المسارعة إلى الله بالتوبة والطاعة: قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٣) ، وقال أيضًا: (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد: ٢١)، فالتأخير هنا حرمان، والتسويف خذلان.

٢. التوبة من الذنب فور الوقوع فيه: لأنّ الإصرار مع القدرة على الترك ذنبٌ آخر.

٣. أداء الحقوق الواجبة عند القدرة: كقضاء الدَّين، وردّ المظالم، وأداء الأمانات إلى أهلها.

٤. الاستعجال في أداء فريضة الحج عند تحقق القدرة والاستطاعة: لأنّ الحجّ واجبٌ على الفور عند جمهور أهل العلم، ولأنّ التأخير مع الاستطاعة تعريضٌ للفوات، عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: (من أرادَ الحجَّ فليتعجَّلْ) (٨).

٥. إنقاذ النفس المعصومة وإغاثة الملهوف إذا تعين: فالتأخير مع القدرة إثمٌ محض وكبير، والقاعدة الفقهية تنص: "ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب".

ثالثًا: مواضع يُستحبّ فيها الاستعجال

وهي ميادين الخير التي يفوت فضلها بالتأخير:

١. المبادرة إلى الطاعات، قال تعالى: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ١٤٨).

٢. الصلاة في أول وقتها: فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) سَأَلْتُ النبيَّ (ﷺ): أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟

قالَ (ﷺ): (الصَّلَاةُ علَى وقْتِهَا)

قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟

قالَ (ﷺ): (برُّ الوَالِدَيْنِ)

قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: (الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ)

---

(٧) أخرجه ابن القيم أخرجه أبو يعلى والخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في السنن الكبرى – أعلام الموقعين – إسناده جيد.

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين – صحيح الأسناد.

قالَ: حدَّثَني بِهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي [٩].

٣. الصدقة عند حضور الحاجة: لأنّ تأخيرها يُفوّت مقصودها.

٤. تزويج صاحب الدين والخُلُق: يقول النبي (ﷺ): (إذا خطبَ إليكم مَن ترضَونَ دينَه وخلقَه، فزوِّجوهُ إلَّا تفعلوا تَكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ) [١٠]، ويقول: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) [١١].

٥. الصلح بين الناس: لأنّ تأخير الإصلاح يوسّع دائرة الفساد.

رابعاً: مواضع يُنهى فيها عن الاستعجال

١. الفتوى والحكم على الناس: وأخرج الدرامي عن محمد بن سيرين، أنه قال: «إنّ هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

٢. القضاء والفصل في الخصومات: لوجوب السماع والتثبّت.

٣. اتخاذ القرارات المصيرية: كالطلاق، والقطيعة، والاتهام.

٤. نشر الأخبار: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات: ٦).

والمؤمن دوما سريعٌ إلى الخير، بطيءٌ عن الخطأ، وعلينا أن نعلم أن:

- العَجَلة في المعصية: هلاك.
- والعَجَلة في الطاعة: نجاة.
- والتأني في الحُكم: حِكمة.

(ب) احذروا التسويف

وبادروا بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: (بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) [١٢].

وعنه أنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: (جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وتَأْمُلُ الغِنَى، ولَا تُمْهِلُ حتَّى إذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، ولِفُلَانٍ كَذَا وقدْ كانَ لِفُلَانٍ) [١٣].

- **كثير من الناس يحمل بين جوانحه نفسا خيرة، وقلبا طاهرا يؤثر البر، ويحب الخير، ويركن إلى المعروف في شئون دينه ودنياه، ولكنه مبتلى بـ:**

–التسويف

(٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١٠) أخرجه الإمام الترمذي في سننه – حسن صحيح.
(١١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

– والإهمال

– وتأجيل عمل الخير من يوم إلى يوم

– لا ينتهز الفرص

–وليس عنده خُلُق المبادرة والإسراع.

تجلس إلى هذا الصنف من الناس، فتسمعه يفيض في وصف أنواع من الأعمال ينتويها، وألوان من المشروعات يرسمها، فيعجبك حديثه، وتروقك مشروعاته، وتلمع أمامك آماله، وتلمس فيه الصدق والرغبة، ولا يساورك فيه ظل من الشك، ولكن الأيام تمضي، والشهور تتوالى، والأعوام تكر، وهو كما هو، ومشروعاته ما زالت أحلاما لم تتحقق؛ ذلك بأنه –وإن كان ذا نية حسنة، وآمال طيبة– قد فقَد خُلُق الإقدام، ولم يؤتَ حظًّا كافيًا من التصميم.

لمثل هؤلاء المترددين المتلكئين يقول الرسول (ﷺ): (بَادِرُوا بالأعْمَالِ ...)، وانتهزوا الفرص قبل أن تفوتكم، واحذروا الفتن قبل أن تعوقكم، فكم من عمل صالح في شئون الدين أو الدنيا وضعت خطته ورسمت طريقته، ثم أدركه داء التأجيل والتسويف؟! فَعَدَتْ عليه الفتن الجامحة، والفتن من شأنها أن تعصف بكل عمل صالح، فربّما قلبت إيمان المؤمن، وأوهنت عزيمة المصمم، وبدَّلت الحقَّ باطلا والباطل حقًّا، وحمَلت صاحبَ الدِّين والفكرة والمبادئ على أن يبيعها ويتخلى عنها بعرض من أعراض هذه الحياة.

وليست الأعمال الصالحة هي الصلاة أو الصوم أو العبادة فقط، بل هي كثيرة؛ منها:

- إنصافك المظلوم عمل صالح فبادره قبل أن يفوتك.
- إغاثتك الملهوف عمل صالح فبادره قبل أن يفوتك.
- إحسانك إلى الفقير عمل صالح فبادره قبل أن يفوتك.
- تربيتك لأبنائك وبناتك عمل صالح فبادره قبل أن يفوتك.
- تدبيرك لشئون بيتك وأهلك وزوجك عمل صالح فبادره قبل أن يفوتك.
- فصلك في القضايا إن كنت قاضيا.
- بَتكَ في الشكاوى إن كنتَ رئيسًا.
- إنجازك للأعمال إن كنت موظفا.
- قيامك بالواجب عليك في كل ناحية من نواحي حياتك...

كل أولئك أعمال صالحة؛ فبادرها قبل أن تفوتك.

- **وهنالك طائفة أخرى من الناس تختلف بعض الشيء عن هذه الطائفة الأولى**؛ فهي لا تحمل هذه النفس البارة، ولا هذا القلب الطاهر، ولكنها نفوس ذات أثرة وأنانية؛ يعيش المرء منهم غنيًّا والناس مِن حوله فقراء، مُتْرَفًا والناس من حوله أشقياء، فلا تتحرك فيه نخوة، ولا يهتز قلبه برحمة، وكأنه في هذا العالم غريب عن أهله لا شأن له بهم!!.

حتى إذا دبت إليه عوامل الفناء وشعر بأنه قد قارب الأجل، وسيفارق حياته وماله ومتاعه تراه حينئذ –حينئذ فقط– يذكر ما كان ناسيا، ويظهر ما كان خافيا، ويقول: تبرعت لفلان بكذا ، ووهبت الجمعية الفلانية كذا، وقد كان لفلان على دين ،فادفعوه، وقد كنت ظلمتُ فلانا فأرضوه!.

وهكذا **يتصرف تصرف المحسنين، ولكن في أموال الوارثين!** فأين هذا ممن يبذل المال على حبه وهو عليه حريص، وفي صحته وهو بها ذو أمل واقتدار؟!.

ألا إن الإحسان الجميل، ولكن أجمل منه أن تبادر به قبل فوات الأوان، فتضعه في موضعه ولو تحملت في سبيله العناء...

فيا أيها المترددون، ويا أيها الأثرون استبقوا الخيرات.. (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٣٤-١٣٣) ، (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المنافقون: ١٠-١١)[١٤].

الفرق بين الزمن والوقت
(مقارنة قرآنية دقيقة)

أولًا: الزمن

الزمن في القرآن هو الإطار الكُلّي الممتد الذي تجري فيه الأحداث والسنن الإلهية، وتتتابع فيه الأمم، وتُصاغ فيه العِبَر.

نماذج قرآنية:

- (وَالْعَصْرِ) (العصر: ١).
- (هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) (الإنسان: ١) .
- (...وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ...) (إبراهيم: ٥).

فالزمن ليس دقائق وساعات، بل هو وعاء التاريخ، وبوتقة الابتلاء، ومسرح السنن؛ فيه قيام وسقوط للدول والحضارات، وفقيه قوة وضعف، وهداية وضلال.

يمضي على الجميع قهرًا... ولا ينتظر أحدًا.

ثانيًا: الوقت

أمّا الوقت فيرتبط في القرآن بـ التكليف والانضباط والمسؤولية؛ وقتٌ مُحدَّد يُطلَب فيه الفعل أو يُمنَع.

نماذج قرآنية:

قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) (النساء: ١٠٣).

وقال: (...وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا...) (المائدة: ٢).

وقال عز وجل: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠).

وهكذا فالوقت أمانة مُحدَّدة، يُقاس ويُضبط ويراعى، ويُسأل العبد عنه عملًا لا فلسفة.

---

(١٤) نقلا عن: فضيلة الشيخ محمود شلتوت، وفضيلة الشيخ محمد المدني: أحاديث الصباح في المذياع ، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية بالازهر الشريف، هدية مجلة الأزهر شهر رجب ١٤٤٦هـ ص ٩١ – ٩٤.

المقارنة المركَّزة:

- الزمن: مجال الأحداث الكبرى والعِبَر والسنن، يُتأمَّل ولا يُدار.
- الوقت: مجال التكليف والمسؤولية، يُدار ولا يُهمَل.

والقرآن يُربّي الإنسان على وعي الزمن حتى لا يغترّ بالدنيا، ويُربّيه على حُسن استثمار الوقت حتى لا يُفرِّط في الأمانة.. والله أعلم

مكانة الوقت وأهميته في الإسلام

يولي الإسلام اهتمامًا بالغًا بالوقت، معتبرًا إياه:

١- نعمة عظيمة

٢- وأمانة كبرى

٣- ومسؤولية سيُسأل عنها العبد يوم القيامة.

وهذا المنظور يحول إدارة الوقت من مجرد مهارة تنظيمية دنيوية إلى (عبادة – ومسعى روحي عميق).

٤- عظَّمَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) شأن الوقتَ، حتى أقسمَ به ما يدفعُ القلبَ إلى التفكُّر، والعقلَ إلى الاعتبار.

٥- الإكثارَ من ذكرِه في القرآن، حيث جعل له من الألفاظِ والمشتقّاتِ والمفرداتِ الكثيرةِ جدًّا بهذا التنوُّعِ في الألفاظِ والمعاني والدلالاتِ والأحوالِ، ليدلُّ على عِظَمِ شأنِه، ومكانته، وأهميةِ العنايةِ به، كما سيأتي.

دلالات الزمن في السياق القرآني.. وفقه الاستثمار الحقيقي:

لقد تنوّعت ألفاظ الزمن في القرآن، وتعدّدت مشتقاته وتوزّعت عبر آياته في مواضع وسياقات كثيرة، وكل لفظ منها يحمل دلالةً خاصة، ورسالةً موجهة للإنسان العاقل، نعم إنها إشراقات قرآنية لفقه الاستثمار الحقيقي في الوقت والزمن المكون لعمر الإنسان...

وإن المتأمل في كتاب الله الكريم يجد حقيقة جليلة، وهي: أن الزمن ليس مجرّد خلفية للأحداث أو ظرف زماني لها، بل هو ساحةُ الامتحانِ الحقيقية، وعنوانُ وجودِنا في الدنيا، والميدانُ الذي نُثبت فيه عبوديتَنا للهِ وطاعتَنا لأوامرِه.

ألفاظ الوقت ومشتقاته في القرآن الكريم:

القرآن الكريم ذاخر بالألفاظ التي تعبّر عن الوقت ومفاهيمه، وقد وردت هذه الألفاظ بأشكال وصيغ متعددة تُبيّن عناية الإسلام بالزمن، وأثره في العبادة والحياة والعقيدة، ومنها:

(الوقت، والدهر، والعصر، والفجر، والضحى، والقرن، والحين، والآن، والأجل، والساعة، واليوم، والأيام، والأيام المعدودات، والأيام المعلومات، والعام، والأعوام، والسنة، والسنين، والشهر، والشهور، والميعاد، والميقات، والضحى، والعشي، والليل، والليلة، والنهار، والفجر، والسرمد،..... وغيرها).

وهذه الألفاظ تعبّر عن أبعاد الزمن المتنوعة:

- الماضي والحاضر والمستقبل
- كما تعكس التدرج الزمني من اللحظة الوجيزة كـ"الآن" و"الحين"، إلى الزمن الطويل كـ"الدهر" و"القرن".
- وتدل على دورات الزمن اليومية مثل "الليل" و"النهار"، ودوراته السنوية مثل "الشهر" و"العام"
- كما تبرز بعض التفاصيل الدقيقة كـ"الضحى" و"العشي" و"الفجر"، وكلها تكشف عناية القرآن والسنة بتحديد الزمن وبيان أهميته.

كما يُبرز القرآن الكريم القيمة العظيمة للوقت من خلال عدة محاور:

القسم بالوقت:

لقد أقسم الله تعالى في كتابه العزيز بأوقات معينة، مثل، قوله تعالى:

- (وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ) (الفجر: ١-٢).
- (وَالضُّحَىٰ) (الضحى: ١).
- (وَالْعَصْرِ) (العصر: ١).
- (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) (الشمس: ٣).
- (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) (الشمس: ٤).

كما أقسم الله بالشمس والقمر وبهما تتحدد التقاويم والمواقيت

- قال تعالى: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (الشمس: ١).
- وقال: (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) (الشمس: ٢).

ولا ريب في أن هذا القسم الإلهي يرفع من شأن الوقت، وأنه ليس مجرد امتداد زمني، بل هو عنصر حيوي في الوجود يستحق التأمل العميق والإدارة الحكيمة.

الحث على المسارعة في الخيرات:

يدعو القرآن الكريم المسلمين بوضوح إلى المسابقة والمسارعة في فعل الخيرات واغتنام الفرص. يقول تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ..) (البقرة: ١٤٨)، وقال: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، هذه الآيات تغرس في النفس شعورًا بالإلحاح وضرورة استثمار الوقت، وتؤكد أن كل لحظة هي فرصة للعمل الصالح الذي يجلب النفع في الدنيا والآخرة.

الوقت.. أمانة ومسؤولية:

ينظر الإسلام إلى الوقت على أنه أمانة من الله (تعالى) أُودعت لدى الإنسان، وسيُسأل عنها يوم القيامة. هذا المفهوم مستمد من قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...) (النساء: ٥٨).

إن هذا التصور يحول إدارة الوقت من مجرد مهارة تنظيمية دنيوية إلى التزام روحي عميق وفعل عبادي ومن ثم يجب استغلاله بما يتوافق مع الغاية السامية من الوجود، والمتمثلة في:

- عبادة الرحمن
- عمارة الاكوان
- رعاية الإنسان..

عباداتٌ وشعائر بمواقيتٍ دقيقة

دروسٌ ربانيةٌ في احترام قيمة الزمن

العباداتُ في الإسلام ليست طقوسًا شكلية تؤدى متى شاء العبد، ولا أعمالًا روتينية يؤدّيها الناس في أوقات الفراغ أو وقتما يرغب الإنسان في ذلك؛ بل هي محكومة بتوقيتٍ دقيقٍ واضح، لا تصح إلا فيه كالحج والصيام...

لقد شرع الله تعالى العباداتِ وقيّدها بمواقيتَ محددة؛ لتكون وسيلة لتأديب النفس وتربيتها وتمرينها وتمريسها على احترام الزمن، وتربية العبد على الانضباط في حياته، وتعليمه أن الطاعة لا تقبل إلا إذا جاءت في وقتها الذي أراده الله.

فالأذان نداء رباني للصلاة، ويضبط به المسلم وقته، ويقسّم به يومه، وينظّم به أولوياته.

والصلاة مفروضة في أوقاتٍ محددة لا تصحّ قبلها بينما تُقضي بعدها، قال الله تعالى: (...إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) (النساء: ١٠٣). فعلى سبيل المثال: من أخّر العصر حتى غربت الشمس، فقد فرّط في فريضة، قال (ﷺ): (من فاتته صلاةُ العصرِ، فكأنما وُتِرَ أهلَه، ومالَه) (١٥).

والصيام، لا يصح أن يُصام في غير وقته، بل قال الله تعالى: (...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ..) (البقرة: ١٨٧)، أي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لا يجوز أن يقدّم عليه، ولا أن يُؤخّر، لأنه عبادة زمنيةٌ منضبطة، لا تُجزئ إلا في وقتها. فلو أن عبدًا صام الليل كله، دون النهار، لم يُكتب له صيامٌ.

والحج، وهو الركن الخامس، لا يصح إلا في أشهرٍ معلومات، قال الله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ...) (البقرة: ١٩٧). فإن خرجتَ عنها، أو أخّرتَ الأعمال عن وقتها، أفسدت النسك وأبطلت التعبد، لأن الزمان شرطٌ لقبول هذه العبادات.

والزكاة لا تجب إلا إذا حال الحول، أي مضى على المال الذي بلغ النصاب عامٌ كامل. فلو تعجّلها الإنسان بغير سبب معتبر، لم تُحسب زكاة، بل صدقةً تطوعًا.

وهذا كله لم يكن ذلك من باب المشقّة، بل من باب التربية: تربية المسلم على أن الزمن أمانة ومسؤولية.

إن انضباط العبادات بالزمن ليس مجرد التزام خارجي، بل هو برنامج إصلاح داخلي، ينشئ المؤمن على احترام النظام، وتنظيم الوقت، والجدية في الحياة. فمن يحافظ على الصلوات في وقتها، يتعود احترام المواعيد. ومن يصوم بدقة، ويتحرى غروب الشمس وإمساك الفجر، لا يمكن أن يعيش عشوائيًا. ومن حج في أيامه المعلومة، لا يتأخر عن واجب، ولا يفرّط في مسؤولية.

إنها تربية ربانية متكررة كل يوم، لتحقيق صلاحنا وإصلاحنا، ونجاتنا ونجاحنا وفلاحنا...

وقد قال أحد الصالحين: إن من علامات الهداية: أن يحافظ العبد على وقته كما يحافظ على دمه وماله.

من أراد الخلود.. فليبذر الخير فى كل لحظة

العُمرُ الحقيقي بالأثرِ النافع لا بكثرة عدد السنين

العمر الحقيقى للإنسان لا يُقاس بعدد السنين، وإنما يُقاس بقدر ما يستثمره الإنسان من وقته في الخير والنفع العام، وما يتركه من أثر طيب في الناس وفي الحياة يدوم بعد رحيله.

والإنسان دومًا منذ لحظة مولده وحتى لحظة وفاته في سباقٍ دائم ومحموم مع الوقت والزمن.

وإنَّ الاستغلال الأمثل للوقت لا يكون على جانب واحد، بل له ثلاثة أوجه:

الأول- الجانب الشخصي: في بناء الذات، وتحقيق الأهداف المشروعة، وتطوير المهارات، وحُسن إدارة الحياة.

الثاني- الجانب الإيماني: في تزكية النفس، والتقرب إلى الله، وتحقيق العبودية له عز وجل، وهذا له تبعات عظيمة وآثار طيبة في الدنيا والآخرة.

الثالث - جانب الأثر: فيما يتركه الإنسان من أعمال نافعة للناس، تبقى بعده صدقةً جاريةً تشهد له، وتُطيل عمره المعنوي ولو قَصُر عمره الزمني.

ولهذا نقول: قد يكون عمر بعض الأشخاص قصيرًا في عداد السنين؛ لكنه طويلٌ جدًّا في ميزان الأثر، وربما يفوق أثر مثل هذا الشخص على مَن عاش أضعاف عمره عدديًّا.

(١٥) أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي واللفظ له، وأحمد.

وإذا كنا جميعًا نتمنى طول العمر، فينبغي أن نحرص أشدَّ الحرص على طول الأثر، فالعبرة بما يبقى لا بما يفنى، والعاقل من اغتنم كل لحظات حياته في عمل ينفعه عند لقاء ربه، ويخلّد اسمه بين الناس.

وقد بيَّن الله تعالى في كتابه أن الأعمال قد تُضاعف بأضعافٍ كثيرة، لا بمقدار حجمها فقط، بل بمقدار الإخلاص فيها، والنية الصادقة، والتجرد لله، قال تعالى: (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا...) (الأنعام: ١٦٠).

وقد يزيدها الله إلى سبعمائة ضعف، أو أضعافٍ مضاعفة، (...وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ..) (البقرة: ٢٦١).

بل **قد يصنع الإنسان أثرًا خالدًا في ساعة واحدة، وتلك الساعة يكون وزنها عند الله كأعمار**، كما حدثنا الله (تعالى) عن ليلة واحدة: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (القدر: ٣). أي: أكثر من ثلاثٍ وثمانين سنة! فكيف إذا استثمر الإنسان أوقاته كلها في الخير والبر والإبداع والاختراع والتجديد والصلاح والإصلاح؟.

قرار يأخذه الشخص في دقيقة يبقى أثره لعقود أو قرون!:

فقد يصدر عن الإنسان قرارٌ رشيد في دقيقة واحدة، كقراره –مثلا– بناء مسجد، أو إنشاء مدرسة، أو تأسيس مستشفى، أو إطلاق مشروع خيريّ نافع، لكن أثر هذا القرار قد يمتد لعقود، وربما لقرون، فالعبرة ليست بعدد الساعات التي نحياها، بل بما نزرعه فيها من بذور الخير والعطاء.

وعليه، فإنني أهيب بكل مؤمن أن يُدرك قيمة وقته، وألا يدع لحظة من عمره تمرّ دون أن يُحسن استغلالها فيما ينفعه في دنياه وأخراه.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن الوقت الذي يمضي من أعمارنا هو خصم من رصيدنا، ولا يمكن استرجاعه، لكن اللحظات التي نغرس فيها عملًا طيبًا تبقى وتثمر، وتُكتب لنا عند الله شهادة ميلاد حقيقية، غير تلك المسجَّلة في دفاتر الأحوال المدنية.

ويقال: "فلان عاش عمرًا قصيرًا، لكنه ترك أثرًا كبيرًا"، وأبلغ مثال على ذلك: سيدنا سعد بن معاذ (رضي الله عنه)، الذي أسلم وعاش في الإسلام ست سنوات فقط، لكن لما تُوفّي، قال النبي (ﷺ): (اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بن مُعَاذٍ) [١٦]. فلما حضرت جنازة سعد بن معاذ بين يدي النبي (ﷺ) وأصحابه، للصلاة عليه، وكان سعدٌ سيدَ الأوس، وقد أبلى في مناصرة الإسلام والرسول بلاء حسنا، قد أُصيب يوم الخندق بسهم، فعاش شهرًا، ثم انتقض جرحه فمات –كمل قيل– فقال النبي (ﷺ): (اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بن مُعَاذٍ)؛ أي: لجنازته، فرحًا واستبشارًا بقدوم روحه، وإشارة إلى عظيم منزلته. وهذا الاهتزاز معلوم الوقوع، مجهول الكيفية.

وقد أراد النبي (ﷺ) أن يبيّن للعالمين فضل سعد، وعلوّ قدره، وسموّ مكانته، وبشارة بأنه من أهل الجنة، جزاء إخلاصه لله، وطيب أثره الذي تركه في هذه الحياة...

بصمات النبوة في ثلاثة وعشرين عاماً

رسول الله ﷺ يصنع أعظم تحول في تاريخ البشرية

إنَّ في سيّدنا رسولِ الله ﷺ الأُسوةَ والقدوةَ والنبراسَ، فقد بُعث نبيًّا وهو في سن الأربعين، وعاش بعدها ثلاثًا وعشرين سنةً، غير أنَّ أثره المبارك بقي حيًّا نابضًا في حياة البشر لأكثر من ألفٍ وأربعمائة وستين عامًا (١٤٤٧ + ١٣ عامًا بمكة)، حتى وقتَ كتابة هذه الدراسة، وسيبقى ممتدًّا إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها.

لقد أسَّس ﷺ واقعًا جديدًا للإنسانية، وأخرجها من ظلمات الجهل والضياع والصراع والحروب والجهالة إلى نور

(١٦) أخرجه البخاري في صحيحه.

الهداية والرشاد زالتسامح والسلام...، وذلك لأنه استثمر كل لحظة من عمره الشريف في التبليغ، والدعوة، والجهاد، والتربية والتعليم، والإصلاح.

الوقت أثمن الموارد وأكثرها ندرة في حياة الإنسان:

الوقت أنفس شيء في الوجود.. من حيث يمضى لا يعود.. نعم الوقت أثمن الموارد وأكثرها ندرة في حياة الإنسان، ومع ذلك فهو من أكثر العناصر هدرًا وأقلها استثمارًا!.

الوقت يمثل مسرح العمل والإنجاز في عالمنا المعاصر، حيث:

- تتسارع وتيرة الحياة.
- وتتكاثر المهام والواجبات.
- وتتنوع الأهداف والغايات.

لذلك أصبح الوقت يمثل عنصرًا حاسمًا في تحديد مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الطموحات الشخصية والمهنية والروحية.

كيف نستثمر الوقت بذكاء في عصر المشتّتات والملهيات؟

إنّ الوقت هو رأس مال الإنسان الحقيقي، ومن أعظم النِّعَم التي منَّ الله بها علينا، لذا فإنّ استثماره وعدم تضييعه يُعدّ علامةً على الوعي والنّجاح. ومن أجل ذلك، إليك جملةً من النصائح العمليّة التي تعينك على الاستفادة القصوى من وقتك:

كيف ندير أوقاتنا؟

إدارة الوقت تعني: ترتيب الأولويات، وتنظيم المهام، واستغلال الزمن بأقصى إنتاجية، ومن أهم أدواتها:

١. التخطيط.
٢. الترتيب.
٣. الانضباط
٤. التقييم
٥. التقليل من المُشتتات

وإليكم التفاصيل

أولا: تحديد الأولويات ولا تَهَب من المهمات الكبيرة أو الشاقة أو الصعبة..

ورسالتي إليك عزيزي القارئ الكريم ألا تنزعج من ضخامة المهام، فالعمل عبادة، وكلما كان العمل شاقا كان أجره عظيما ومن هنا لابد من النية، مع العلم أن كلّ عمل، مهما بدا صعبًا، يسهل إنجازه متى ما ابتدأت فيه، ومن تجاربنا على مدار نحو خمسين عاما أن البداية نصف الطريق، وكما قيل: "مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة"، وكانت والدتي (عليها رحمات الله) بحكمتها الفطرية تقول لي: " ابدأ واكسر عين الشيطان"، هكذا كانت فطرتهم النقية.

ثانيا: قسم الأعمال الكبيرة وفككها إلى مهام صغيرة، وابدأ بالسهل المهم أن تبدأ

ومن ذلك تقسيم أهدافك إلى مهام يمكن التحكم فيها. وهذا يعني أن تقسم الأهداف الكبيرة إلى مهام أصغر وأكثر قابلية للإدارة.. بمعني أن يجب عليك أن تقوم بتجزئة الأعمال الكبيرة إلى خطواتٍ صغيرة يجعلها أقلّ رهبة وأسهل تنفيذًا، وقد أثبتت التجارب عبر التاريخ وفي الواقع أن هذه الطريقة تُحفّز الإنجاز وتعطي شعورًا بالتقدّم المستمر... وفي غزوة الأحزاب (الخندق) وبعد أن اقتنع النبي بفكرة حفر الخندق حماية المدينة، وبعد أن أجرى

المشاورات وخطط لهذا الأمر العاجل، قسم المكان المخصص للحفر، وقسمه على عدد المشاركين بالسوية وهو مهم يساعدهم ويساندهم بمنتهى النشاط والقوة والصبر، ومن هنا نتعلم تفكيك العمل الضخم إلى أجزاء.

ثالثا: لا تشتّت نفسك، واحذر التسويف

من الأهمية بمكان ألا ينشغل الإنسان عن عمله بأي مشتتات، ومن ثم يلزم التركيز بحيث لا تقطع هذه المشتتات العمل وتنتقله إلى غيره إلا عند الضرورة القصوى.

وبعض الناس يركزون جدا في أعمالهم وسرعان ما يطرق الهاتف برناته فيرد على الهاتف ويدخل في خضم أمور أو مشكلات أخرى، تسهم في إبعاد الشخص عن عمله الأساسي، وتقطع صلته بعمله الأساسي الذي بدأ فيه، وتكون النتيجة الانصراف عن العمل والانشغال بمشتتات أخرى...

وقامت بعض شركات إنتاج الهواتف المحمولة وبرمجياتها بإدراج خاصة (**التركيز**) لإيقاف تلقي المكالمات عن تفعيلها؛ لمساعدة الشخص على إنجاز العمل، أو الاستغراق في نومه، أو الاستمتاع بوقته الشخصي.

وفي الوقت نفسه احذر من التسويف، فهو لصّ الوقت الأول، وسبب رئيس في ضياع الإنجاز.

رابعا: تَعلَّم أن تقول "لا" لما لا يفيد.. وابتعد عن الفضول والعشوائية وسفاسف الأمور والزم معاليها

- عندما تزاحمك الالتزامات غير المهمّة أو تُطلب منك أمور تضيّع وقتك، **فقل "لا" دون حرج**، قلها بأدب ولباقة، ولكن بحزم ووضوح، ذلك أن قولك "لا" في الوقت المناسب تعد علامة نضج فكريّ، ووضوح في الرؤية، وحسن ترتيبٍ للأولويات، وفيها تعليم للآخرين...
- واعلم أن العشوائيات ليست في إنشاء العمارات أو بعض المدن والطرق بشكل عشوائي؛ بل هناك **عشوائيات فكرية وسلوكية وحياتية**، فاحذر منها، فإنها إذا تسربت إلى حياتك وقراراتك أعاقتك، وشتّتتك، وأضاعت جهدك ووقتك ومالك...
- وإياك **أن تنشغل بسفاسف الأمور** أو توافه الأشياء، **وعليك أن تلزم نفسك بمعالي الأمور**، واعرف قيمة وقتك وأنه خصم من عمرك، وألزم نفسك بما يرفعك ويقوّيك، ويقرّبك من أهدافك، ويقربك قبل كل ذلك من الله.
- ولا تضيع وقتك فيما لا يعنيك... فطوبى لمن انشغل بإصلاح نفسه، وأعماله، وأهله، وابتعد عن التطفّل والفضول يقول النبي (ﷺ): (مِن حُسن إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيهِ) [١٧]. وإذا كنا نحن مأمورين بترك ما لا يعنينا، فمِن العدل والإنصاف ألا يتدخّل الآخرون في ما لا يعنيهم من شؤوننا.

والأصل في العلاقات السويّة هو الاحترام المتبادل، وترك كلّ لشأنِه، ما لم يُدعَ إلى التدخّل برضا، وعن وعي، وبمسؤولية

وقديمًا قالوا: مَن تدخَّل فيما لا يعْنيه لقيَ ما لا يُرضيه، فهَنيئًا لمن ضبطَ فُضوله وانشغلَ بحالِه وأعماله وإصلاح نفسه وعياله.

وهكذا فإنّ الإنسان الناجح هو الذي يميّز بين ما يستحق وقته وجهده، وبين ما ينبغي أن يتركه بلا تردّد، فيعيش منضبطًا، متّزنًا، هادفًا، راضيًا عن نفسه، بعيدًا عن الضياع واللهو والفضول والعشوائية.

خامسا: تَجنّب مضيعات الوقت التالية

- الاستخدام المفرط للهاتف والإنترنت في غير فائدة.

(١٧) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

- السهرات الطويلة عموما، والمليئة بالهزل والضحك الفارغ والتفاهة والتي تقلل من قيمة الإنسان ومن مهابته خصوصا
- التطلّع المبالغ فيه إلى المثالية مما يعيق البدء، وهذه أم المشكلات لدى بعض الناس، وهنا أقول لمثل هؤلاء، كن واقعيا، وابدأ، وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة، والقطار يتحرك أولا ببطء ثم ينطلق...
- حبّ الجدل والمناقشات العقيمة التي لا تؤدّي إلى فائدة.
- فقدان الرغبة في العمل والإنتاج والإبداع والملل وعدم وضوح الهدف، ومعظمها من وساوس الشيطان، فاستعذ بالله وابدأ..
- الفوضى في البيئة المحيطة التي تُعيق التركيز.
- الطوارئ والمشكلات المفاجئة الناتجة عن غياب التخطيط المسبق.

سادسا: احرص على بيئة منظّمة

تنظيم مكتبك، أدواتك، وجدولك اليوميّ، يوفّر وقتًا ثمينًا، ويعزّز التركيز.

سابعًا: استثمر أوقات الفراغ القصيرة

اقرأ صفحة، راجع هدفًا، خطّط ليومك التالي.. المهمّ أن لا تدع الدقائق تذهب بلا فائدة.

ثامنا: نوع وسائل التحفيز

كافئ نفسك بعد كل إنجاز، صغيرًا كان أو كبيرًا... لتجعل انجازك مهما كان سببا في إسعادك وإسعاد حياتك والمحيطين بك، وعليك بالاعتدال (عدم التهويل وعم التهوين) واربط بين الإنجاز والمتعة لتصبح الإنتاجية عادةً ممتعة.

تاسعا: خطّط يومك كلّ صباح

ابدأ يومك بخطّة واضحة ومكتوبة... وممكن أن تبدأ التفكير وأن في طريقك إلى عملك، ضع أولوياتك، وابدأ بالأهمّ فالمهمّ.

عاشرا: راجع يومك ليلًا

هل استثمرت وقتك كما يجب؟ ما الأخطاء؟ وما التقدّم المحقّق؟، ولا ريب في أن هذه المراجعة اليومية تُنمّي وعيك وتزيد إنتاجيتك تدريجيًّا، وتعلمك النظام والدقة والإتقان...

تذكّر أنّ "**الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك**"، **وأن النجاح لا يولد من فراغ، بل هو ثمرة إدارة محكمة للوقت والجهد**... فكن سيّدَ وقتك، ولا تكن رهينة أو تابعا لتسويفك وكسلك.

وتذكر دوما قول النبي (ﷺ): (نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ) (١٨).

اللهم اجعل أوقاتنا معمورة بطاعتك، وأعمارنا وقفًا على رضاك، وعلّمنا قيمة الزمن، وارزقنا اغتنامه في الخير يا أكرم الأكرمين. اللهم إني أسألك أن تبارك لنا في أعمارنا، وأوقاتنا، وأعمالنا، وأرزاقنا، وألّا تجعل حياتنا حُجّةً علينا، بل حُجّةً لنا، يا ذا الجلال والإكرام.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

(١٨) أخرجه البخاري في صحيحه.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد

السلف الصالح: دروس في عبقرية استثمار الوقت- قصص وحكايات

لقد رُوي من سير سلفنا الصالح في حفظ أوقاتهم العجب العُجاب، فقد أدركوا أن اهدار الوقت ضياع للعمر والعلم والعمل والأجر، فحرصوا على اغتنامه كحرصهم على حياتهم، بل أشد.

فهذا الإمام الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) نموذج في حسن استثمار الوقت وتنظيم الحياة:

الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه) شيخ المدرسة المصرية في الفقه والحديث وعلوم العربية والإسلام، أحد أئمة الإسلام وعلمائه الكبار، كان يقسّم يومه إلى أربعة مجالس، أحسن تنظيمها وتوزيعها بما يخدم الدين والوطن والمجتمع والناس:

المجلس الأول: مجلسه مع السلطان

كان أوّل مجلسٍ له يُخصّصه لنائبة السلطان، يقضي فيها حوائجه، ويقوم بدور الناصح الأمين.

وكان السلطان يغشاه –يقصده– فإذا أنكر الإمام الليث أمرًا على القاضي أو السلطان، كتب إلى أمير المؤمنين، فيأتيه العزل فورًا!. وهذا يدل على مكانته وهيبته وصدقه وإخلاصه.

الثاني: مجلسه لأهل الحديث

كان يجلس فيه لأصحاب الحديث الشريف، يُعلّمهم ويروي لهم، ويُحفّزهم، وكان يقول: "نجّحوا أصحاب الحوانيت، فإن قلوبهم معلّقة بأسواقهم". حرصًا على وقتهم، وتقديرًا لحالهم، **فجمع بين الفقه والرحمة**.

الثالث: مجلسه للإفتاء

كان مجلسًا مخصّصًا للمسائل الفقهية، يغشاه الناس –أي يقصدونه–، فيسألونه عن أمور دينهم، فيُفتيهم بما علّمه الله.

الرابع: مجلسه لقضاء حوائج الناس

خصّص مجلسًا ثابتًا لقضاء حوائج الناس، فلا يردّ سائلاً، سواء كانت حاجته كبيرة أو صغيرة.

وكان بابُه مفتوحًا، وصدرُه رحبًا، ونفسُه كريمة... وسيرته في العطاء والسخاء تؤكد أنه علَّم الإنسانية معنى الإنسانية.

ولا شك في أن تنظيم الإمام الليث (رضي الله عنه) لمجالسه بهذا الترتيب المنهجي، ليُشير بوضوح إلى أنه –إلى جانب كونه إمام عصره– كان رجلًا موسوعيًّا، جمع بين:

العلم والفقه، وحسن الإدارة والتخطيط، والمكانة الرفيعة عند الناس والخلفاء.

وهذه المنزلة لم ينلها بزُلفى أو تقرّبٍ إلى السلطان، بل بلغها بـ: علمه الغزير، وحلمه وأخلاقه، وجوده وكرمه، وإخلاصه لوجه الله تعالى.

وهكذا كان الإمام الليث بن سعد أنموذجًا يُحتذى في حُسن إدارة الوقت، وتوظيف الطاقات والخبرات والخيرات لخدمة الدين والمجتمع والناس، فحُقّ له أن يُخلَّد في سجلات التاريخ الشريفة، لا بعمره فقط، بل بأثره الملهِم والمبارك (١٩).

وهذا الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ): نموذج استثنائي في استثمار الوقت وتنظيمه

لم يكن الإمام الشافعي (رضي الله عنه) مجرد فقيه أو محدث فحسب؛ بل كان مدرسةً متنقلةً ورائدا في استثمار العقل والعمر والوقت. ونشأ في مكة، وتفقه على شيوخها، ثم ارتحل إلى المدينة ليتتلمذ على يد الإمام مالك، ثم إلى العراق فمصر، التي أقام بها مذهبه الجديد. وقد تميزت شخصية الإمام الشافعي بالزهد.. وليسمح لي القارئ الكريم أن أقتطف له بعضا من هذه المعاني التي وردت في الكتاب المهم «تربية البنين» للأستاذ علي فكري: ".... لما كان الشافعي صبيا أُرسل إلى الكُتَّاب، فكان دائما على مقربة من المعلم وقت إلقاء الدرس، وكان يحفظ كل ما يسمعه جيدًا مستثمرا جهده ووقته جيدا، حتى إذا ما ذهب المعلم لقضاء حاجته، أخذ الشافعي التلاميذ وحفَّظهم ما حفظه.. فأحبه زملاؤه، والتفوا حوله ورفعوه فوقهم، وأطاعوا أمره؛ لذلك كان الأول في مكتبه.

ولما رأى المعلم اجتهاده ونجابته اعتبره من دون مصروفات «مجانا».

وكان الشافعي ميالا جدا للألعاب الرياضية، فكان يأخذ الصبيان إلى ساحة مكة المكرمة» وضواحيها، ويلعب معهم هناك مختلف الألعاب التي كانت مشهورة في ذلك الزمان. ولما بلغ من العمر تسع سنوات وكان قد أتم حفظ القرآن كله، فترك الكُتَّاب، ودخل المسجد الحرام وأخذ يجالس العلماء، ويحفظ الحديث وعلوم القرآن وغيرها.

وكان من شدة فقره يجمع العظام ليكتب عليها مذكراته، وكان يذهب إلى دواوين الحكومة ومصالحها ويلتقط قصاصات القراطيس (بقايا الرقاع والأوراق والجلود) من تحت أقدام الكتبة؛ ليكتب على ظهرها، وفي المسافات الخالية فيها، المذكرات التي درسها.. وكان يقول:

العلم صيد والكتابة قيده * قيِّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة * وتفكها بين الخلائق طالقة

ولما كثرت العظام والقصاصات عنده وضاق بها صندوقه وحجرته، صمم على أن يحفظ ما جمعه فيها عن ظهر قلب، ويستغني عنها، وفعلاً حبس نفسه بالحجرة، وأخذ يحفظ ما كتبه على العظام والقصاصات بعزيمة صادقة، حتى أتم حفظها واستغنى عنها وخرج من الحجرة وهو يقول:

علمي معي حيثما يممت ينفعني * إن كنت في البيت كان العلم فيه معي

صدري وعاء له، لا بطن صندوقي * أو كنت في السوق كان العلم في السوق" أ.هـ

وكان للشافعي (رضي الله عنه) فقه قديم وفقه جديد، فالقديم هو ما كتبه في الحجاز والعراق. والجديد ما كتبه في السنوات الأربع التي أقامها في مصر خلال الفترة من (١٩٩) إلى (٢٠٤هـ)، إذ غَيَّر كثيرًا من اجتهاداته، وأعاد تصنيف كتبه. والتف حوله عدد من تلامذته المصريين، فحملوا عنه هذه الاجتهادات ورووا عنه تلك الكتب. ومذهبه الجديد في مصر يتمثل في كتاب الأم وكتاب الرسالة الجديدة وغيرها.

ويرى الإمام أحمد بن حنبل (رضي الله عنه) أن الكتب المصرية للشافعي أفضل من الكتب التي كتبها في العراق؛ لأن الكتب التي وضعها في مصر أحكمها..

(١٩) د/ أحمد علي سليمان: الإمام المجدِّد الليث بن سعد: الفقيه والمحدِّث والإنسان، القاهرة: دار زحمة كتاب، ٢٠٢٣م، صـ ٥٦ وما بعدها.

ويمتاز الشافعي عن غيره من الأئمة (رضي الله عنهم)، أنه قام بتدوين كتب المذهب بنفسه. وقام بمصر بإعادة تنقيح كتب المذهب، فمقلدوه بمصر كُثُر. وقد أحبه المصريون وتعلقوا به أيما تعلق! ومسجد في مصر شهير وعظيم وعامر ومقصود.

ولما جاء صلاح الدين الأيوبي (رضي الله عنه) إلى مصر –وكان كردياً شافعيًّا– تبنى المذهب الشافعي وعيّن القضاة منه؟؛ فعاد فقهه إلى أفضل ما كان وانتشر وقتذاك في الشام ومصر والحجاز واليمن.. ومن اليمن إلى جنوب شرق آسيا.

وكان الشافعي (رضي الله عنه) قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء:

- الثلث الأول يكتب
- والثلث الثاني يصلي
- والثلث الثالث ينام.
- وقيل بأنه كان لا يقرأ قرآنا بالليل إلا في صلاة؛ وكان للشافعي في رمضان ستون ختمه، ودفن بمصر. وقد قام تلامذته بنشر فقهه.

لقد عاش الشافعي ٥٤ عامًا فقط، لكنه ملأها علمًا وتأثيرًا، حتى خُلد اسمه في كتب الفقه والتربية والتاريخ. فهو بحق، نموذجٌ فريدٌ في استثمار الوقت وتنظيمه، ودرسٌ خالد في البناء الذاتي والعلمي والروحي.

وهذا أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ) لا يكاد يفارق يده القلم، ولا عينه النظر، ولا قلبه الفكر والتأمل.

وكان (رضي الله عنه) يتقن خمس لغات: العربية، والسريانية، والسنسكريتية [٢٠]، والفارسية، والهندية، وقد خلّف أكثر من مئة وعشرين مجلدًا في الفلك، والرياضيات، والتاريخ، واللغات، والطب، وغيرها.

وهذا الإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، كان مضرب المثل في حفظ الوقت واستثماره، حتى قيل أنه كان يقول عن نفسه: "إني رُزقت التفرّغ للعلم، فلم أضِع لحظةً إلا في تسطير علم أو مطالعة أو تدريس أو تصنيف". وقد بلغت مؤلفاته أكثر من ٦٠٠ مؤلَّف في شتى الفنون: التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والأدب، والتاريخ.

وهذا الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)، الذي عاش عمرًا قصيرًا، لكنه ملأ الدنيا علمًا وفضلا وورعًا، وكان لا يضيع دقيقة من يومه، حتى إنه كان يأكل ويمشي ويقرأ في آنٍ واحد، وخلّف لنا تراثًا خالدًا كـ"رياض الصالحين" و"الأربعين النووية" و"المجموع".

أين نحن من السلف الصالح وقد أصبحنا نرى ما نرى؟!

- ممن ينام الساعات الطوال بالنهار، ويجعل النهار ليلا والعكس بالعكس، وفي الليل يسهر على المنكرات والعياذ بالله.
- نرى مَن يجلس مع هاتفه الذكي أو أمام شاشة التلفاز أو الحاسوب منشغلًا بإفناء العمر في المباريات الكروية والمسلسلات الهابطة وتصفُّح مواقع التواصل، فأضاع الصلوات وأهمل مراجعة دروسه بل أضاع حقوقًا كثيرةً انشغل عنها.

هل أنت تقتل الوقت أم الوقت يقتلك؟!

- نرى مَن يُمضي وقته مع رفاقه على قارعة الطريق، أو في المقهى صباح مساء –زعمًا منه– أنه يقتل الوقت!! بل إنَّ الوقت هو الذي يقتله، يتجاذبون أطراف الحديث في القيل والقال والغيبة والنميمة، واستراق النظر، ولم يعطوا الطريق حقه، قال (ﷺ): (إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ)، فَقالوا: ما لَنَا بُدٌّ، إنَّما هي مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قالَ:

(٢٠) لغة هندية قديمة تُعد من أقدم اللغات الهندو–أوروبية، وكانت لغة الكتب المقدسة للهندوسية (مثل الفيدا)، كما استُخدمت في البوذية والجينية، ولها مكانة كبيرة في الثقافة الهندية.

(فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا)، قالوا: وَما حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قالَ: (غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ) (٢١).

واعلموا أن الله (عز وجل) ذكر موقفين عظيمين يندم فيهما الإنسان على ضياع الوقت، ويومها لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار؛ حينما ينزل الموت بالعبد المفرط، فيقول: (...رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) (المنافقون: ١٠) يتمنى تأخير الأجل ولو قليلًا من الوقت؛ ليعمل العمل الصالح ولكن هيهات (وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المنافقون: ١١).

الموقف الثاني: في يوم القيامة؛ حينما يقول المفرط في جنب الله حين يرى العذاب: (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (الزمر: ٥٨)، ويقول عموم المفرطين: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنعام: ٢٧)، والندم ليس حاصلًا للمفرطين فقط، بل إن العاملين يندمون، حينما يرون مَن هم أعلى منهم درجات، لماذا لم يزدادوا عملًا؟ قال تعالى: (...وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين: ٢٦) (٢٢).

وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...

وفي النهاية نشكر الله تعالى العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيأ لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وألهمنا جليلَ الخطاب، وفتح لنا واسعَ الأبواب في العلم والخير والنفع.

***

نسأل الله أن يحفظ أوطاننا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وهيّئ لهم البطانة الصالحة الناصحة، ووفقهم لما فيه خير العباد والبلاد.

اللَّهُمَّ احفظ شبابنا من الفتن، وألّف بين قلوبنا، ووفّقنا للعمل الصالح الذي يرضيك عنا.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف:٤٣)...

اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(#معارج_الدعاة **خُطب منبرية وقضايا فكرية وتربوية معاصرة د. أحمد علي سليمان؛ لمتابعة كل جديد**

https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/

(٢١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٢٢) عبدالعزيز محمد مبارك أوتكوميت: أهمية الوقت في حياة المسلم، الألوكة، ٢٤ يوليو ٢٠٢٣